

أيضاً أن يجئ بعدها الأفعال والأسماء - ومن أجل ذلك لم ينصبوا بها المضارع بل قدروا لنصبه (أن: مضمرة).

وابن مضاء يرفض العمل والعامل وما ترتب عليهما، ويرى أن المضارع منصوب بعد هذه الحروف لا بها، وكل جملة يتحقق لها خصائص نصب المضارع بعد هذه الحروف يكون منصوباً دون تقدير - ولأن أول. وهذا خلل منهجي سببه النظم من حيث عدم اتساع طاقته على الوفاء بمنهج واحد مستقيم فهو يضع التفاصيل التي يستغنى ^{عنها} المتعلم مرةً وفي مرات أخرى يحشو نظمه بالآراء المختلفة سواء للبصريين أم للكوفيين أم للعلماء متفردين من الاتجاهين. والجمع بين اتجاهات النحو العربي ومذاهبه في بيئته العلمية المختلفة أعان على نقد النحو العربي بأكمله من خلال الانطباع المأخوذ على المنظومة النحوية وما تبعها من شروح وتقارير وتعليقات.

المنهج التفسيري القائم على النظر لظاهر الكلام دون تقدير أو تأويل أو البحث عن علة العلة، هو المنهج الذي رفض على أساسه ابن مضاء النظرية البصرية ... وهو منهج أقرب إلى الوصفية التي تبتعد عن استخدام التعليقات المنطقية، وعلى هذا الأساس استطاع ابن مضاء أن يتبع ما ترتب على آثار نظرية العامل من تأويلات وتقديرات تؤدي إلى هدم العلاقة بين المبنى والمعنى.

ولذلك كان ابن مضاء أول من ناقش أصول النحو العربي كما وضعته البصرة، وحاول ردها، وبذلك وضع يده على ما تصوره من مشاكل النحو وقضاياها التي تحتاج إلى إصلاح وتيسير. ولكن رغم محاولة ابن مضاء هذه، وهي المحاولة الأولى في إطار الحضارة الإسلامية بعيداً عن أية مؤثرات أجنبية. ومع ذلك فإن هذه المحاولات جميعاً، سواء ما يتصل منها بالاختصار أو الإيضاح أو حتى محاولة التجديد، كما فعل ابن مضاء لم تذهب سدى، وإنما كانت مصدر الإلهام وتوجيه محاولات الإصلاح والتيسير التي لاتعد في جوهرها ثورة على النحو العربي وإنما على الطريقة التي وصل بها إلينا النحو العربي وهذه التجربة أعنى المنظومة لم تخرج على قواعد النحو العربي